

## اللغة والهوية : تأثيرات وتداعيات على التعليم العربي في إسرائيل

أ.د. محمد أمارة

الكلية الأكاديمية - بيت بيرل

### 1. مقدمة

تلعب كل من اللغة والهوية الاجتماعية، كما سببنا في هذا المقال، أدواراً مركزية وجوهرية في حياة المجتمعات. فاللغة هي أحد مؤشرات الهامة للهوية التي تساهم في تشكيلها وتعزيزها. والهوية الاجتماعية من الجهة الأخرى هي البوصلة للمجموعات وللمجتمعات وهي الوعاء الحافظ لحيويتها واستمرارها في هذا الكون. والعلاقة بين اللغة والهوية وثيقة جداً ومتشابكة. لكن الجديد في الأمر هو أن الوحدات المشكلة للهويات الاجتماعية تغيرت وتبدلت عبر السنين مع تبدل المفاهيم الإنسانية والفكرية. فعلى سبيل المثال، قبل مائتي سنة تقريباً كانت الوحدات الاجتماعية المهمة هي الدين، القبيلة أو الحمولة. بعدها ظهرت الهويات القومية والعرقية لتصبح الأهم في كثير من مجتمعات العالم.

في هذا المقال سأتناول العلاقة بين اللغة والهوية، وفحصها في السياق العربي عامة، والإسرائيلي خاصة. بعد ذلك سأفحص مكان اللغة العربية وارتباطها بالهوية في التعليم العربي في إسرائيل وما لها من تأثيرات وتداعيات على الطلاب من الناحية التحصيلية والقيمية. بداية سأحدث بإيجاز عن مفهوم الهوية الاجتماعية في الأبحاث المعاصرة.

### 2. هوية وهويات

يرى تاجفيل وتيرنر (Tajfel and Turner, 1985) أن لدينا - إلى

جانب هويتنا الشخصية - هوية اجتماعية أيضاً، تشمل معرفتنا لانتمائنا إلى مجموعة اجتماعية محددة، إضافة إلى القيمة والدلالة العاطفية المنسوبتين إلى هذا الانتماء. خلال هذه العملية فإننا نعمل على تصنيف (Categorization) أنفسنا وتصنيف الآخرين، وهذه العملية - بناء على تاجفيل وتيرنر - هي عملية ذهنية محضة نقوم من خلالها بتقسيم وتصنيف وتنظيم محيطنا الاجتماعي. كما تتيح لنا تبني مختلف أشكال النشاط الاجتماعي، وتحدد موقعنا في النسيج الاجتماعي وتمنحنا هوية اجتماعية خاصة بنا، موضوعة بمصطلحات ومفاهيم اجتماعية. هناك عدة طرق لتحديد الهوية، منها عملية المقارنة والتي تتيح لنا معرفة مقدار تشابهنا مع أو اختلافنا عن الآخرين، ومدى كون الآخرين أفضل أو أسوأ من أفراد مجموعات أخرى. يعتبر التصنيف الاجتماعي الأساس الذي يبنى عليه تفضيل مجموعة الانتماء والتميز ضد المجموعة المختلفة في الجانب الآخر. كما تقوم نظرية الهوية الاجتماعية على مركب الدافعية الذي يعلل - بناءً على تاجفيل وتيرنر - ميل البشر على صعيد عالمي لعقد مقارنات ومفاضلات ترجح فيها كفة مجموعتهم (In-group) وتبخس قيمة المجموعة الخارجية (Out-group). وبناءً على نظرية الهوية الاجتماعية فإن هذه العمليات هي الأساس الذي تبني عليه الآراء المسبقة، الصور النمطية (القوليات) وعمليات التمييز السلبي بين المجموعات. تنص نظرية الهوية الاجتماعية على أن أوضاع الصراع بين المجموعات تشجع على إلغاء الهوية الشخصية وتتعامل مع

هناك اختلاف بين هاتين النظريتين، لكنهما تُجمعان على أنه في واقع يتسم بالصراع بين المجموعات أو عند وجود ما يهدد المجموعة، يزداد الميل لتبني استراتيجيات جماعية، أما في الأوضاع التي لا يوجد فيها مثل هذا التهديد فيزداد الميل لتبني الاستراتيجيات الفردية.

في العصر الحديث، أصبحت العرقية من أهم الهويات الاجتماعية. وكمصطلح فإن للعرقية جذور بشكل أساسي في الأنثروبولوجيا وعلم الأعراق (لايبكند، 1999: Leibkind). ويتم تعريف المجموعة العرقية غالباً على أساس معايير موضوعية مثل الخصائص البيولوجية والجغرافية واللغوية والثقافية أو الدينية. ولكن المعايير الذاتية تبدو أكثر أهمية من المعايير الموضوعية. وتعرف العرقية ببساطة بأنها مسألة اعتقاد ذاتي بالساللة المشتركة (لايبكند، 1999:140).

ومن المقبول به على نطاق واسع بأن بارث (Barth 1970) الذي استخدم الطريقة الذاتية قد أرسى الأسس للفهم الحديث للعرقية. أنه من السهل "الانتقال من الطريقة الثابتة إلى الطريقة التفاعلية للعرقية" بتقديره "للعرقية أو الهوية العرقية كجانب من التنظيم الاجتماعي وليس الثقافة" (فيرميولن وجوفرز، 1994: Vermeulen and Govers 2). وهكذا فإن الحدود العرقية هي التي تحدد المجموعة وليس القضايا الثقافية المرتبطة بها (بارث، 1970). وبدلاً من وضع قائمة بالمعايير الموضوعية، فإن الاهتمام الرئيسي هو المحافظة على الحدود وتشكيلها (دي كادت، 2000: de Kadt). من بعض الأسئلة التي تثير التحدي حول الجماعات العرقية هي: كيف يتم إنشاء الحدود بين الجماعات والمحافظة عليها؟ وأين وكيف يرسم الناس الحدود الفاصلة بينهما؟

لقد ادعى كثير من الباحثين خصوصاً الليبراليين بأن العرقية ميتة. وكما تقول سكوتناب-كانغاس (Skutnabb- 54:1999): (Kangas):

لقد أعلن عن وفاة العرقية عدة مرات خلال هذا القرن (القرن العشرين) خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية. لقد ادعى الباحثون الليبراليين (ويستمر الكثيرون في الادعاء) بأنها كانت ميزة تقليدية عاطفية ستختفي مع التحديث والحركة الحضرية وحركة العولمة. وسيتم استبدال الهويات العرقية بولاءات وهويات أخرى: مهنية واجتماعية وجنسية وجماعة المصالح والهويات المتعلقة بالدولة والعولمة وهكذا دواليك. وادعى الباحثون الماركسيون بأن التضامات المتعلقة بالطبقات

البشر بوصفهم ممثلين لفئة اجتماعية واحدة وليس كأفراد متميزين. عندما تكون المنظومة الاجتماعية ذات مبنى هرمي وتتميز بعدم المساواة في توزيع ثرواتها، فإن وضعها الاجتماعي يتسم بالمركزية العرقية ويكون قائماً على العداء بين المجموعات. ويرى تاجفيل - على ضوء الدراسات المختلفة التي أجريت في هذا الصدد - أن الميل للمركزية العرقية غالباً ما يكون أحادي الاتجاه من المجموعة ذات المكانة العليا إلى المجموعة ذات المكانة الدنيا، بينما كثيراً ما نلاحظ لدى أفراد المجموعة الدنيا النظرة الإيجابية تجاه المجموعة ذات المكانة العليا. عادة فإن المجموعات الدونية تذوّت التقدير الاجتماعي الشائع حول دونيتها وتستنسخه، لدرجة إخباس قيمتها الذاتية. وتنص نظرية الهوية الاجتماعية على أن أفراد المجموعات الدونية لن يعلنوا الصراع إلا عندما يتحدون نقطة الانطلاق الثقافية التي تصممهم بالدونية. وهذا يعني - من جهة - أنه كلما اعتبرت المنظومة الاجتماعية شرعية بقدر أكبر والحدود بين المجموعات غير قابلة للاختراق، يميل أفراد المجموعات الدونية إلى تبني الإستراتيجية الشخصية القائمة على الذوبان في الثقافة السائدة، كوسيلة لترقيهم الاجتماعي كأفراد. ومن جهة أخرى عندما يتم نفي ورفض شرعية الواقع الاجتماعي سوف يتبنى أفراد المجموعات الدونية استراتيجيات جماعية. حيث سيتمردون على الوضع الاجتماعي الراهن الذي يكرّس دونيتهم، ويعملون على تغيير الموقع عديم الأهمية الذي تحتله هويتهم الاجتماعية.

وقد طوّر ساروب (Sarup, 1996) على خلفية خطاب التعددية الثقافية في تسعينيات القرن الماضي نظرية ترى في الهوية الاجتماعية "حزمة" تتألف من هويات فرعية المتحركة باستمرار، وليس بالضرورة أن تتطور بينها علاقات ارتباط أو تصادم. هذه الهويات الفرعية تعكس تعدد الدلالات الذي يتطور لدى الأفراد في الواقع العالمي المتعلق بالسياقات الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والسيكولوجية المختلفة. فالأفراد يلبورون هوياتهم باستقلالية من خلال عملية ارتدادية يعملون فيها على إلحاق ذكرياتهم الماضية بترسيمات آنية تؤول الواقع وتبني منه رواية واحدة. بهذه الطريقة يبني كل فرد هويته الخاصة ولا يكون بحاجة إلى التشبه بالآخرين أو أن يتم وصمه كـ "آخر". وسيعتبر الفرد هذه الهوية ثابتة إذا كان كل مركب فيها قادراً على التحرك بحرية مركز الهويات في عملية تغذية راجعة للممارسات اليومية، بحيث تكون المركبات الأخرى قادرة على إخلاء هذا المركز بحرية. هذه النظرية تفترض حركة مركبات الهوية بشكل دائم لتتمكن من التلاؤم مع الواقع الديناميكي، كما تفترض أن لا بد لأي تغيير اجتماعي يحدث على نطاق واسع أن يترافق مع عملية تغيير للهويات.

الشخص بأن يجرب الفرحة مثلاً سماع اعتراف بالحب أو إراحة باله أو بالها، مثلاً، من خلال كلمات التعزية أو الصلاة. ويمكن أن تكون للكلمات تأثير مدمر، عندما تكشف صحيفة عن إشاعة حول فضيحة مزعومة، أو يمكن للكلمات أن تؤثر على وجود مجتمعات بكاملها، كما هو الحال في الإعلان عن الحرب. إن اللغة وسيلة لنوابا الإنسان ويمكن أن تكون نوايا مستعملها إيجابية ينتج عنها انسجاماً في التفاعل أو سلبية ينتج عنها إنشاء التحيز والآراء الثقافية المسبقة.

وبغض النظر عن طبيعة اللغة وعلاقتها بالناس والمجموعات الاجتماعية، فإنه ثمة عدد من الصفات الأساسية للغة جديرة بالذكر، بشكل رئيسي، من وجهة نظر اجتماعية-نفسية، نجملها في ثلاث نقاط (Padilla, 1999: 116):  
أولاً- أن اللغة هي الوسيلة الرئيسية للتهيئة الاجتماعية لدى الأطفال؛

ثانياً- تميّز اللغة مجموعة الناطقين عن غير الناطقين بها. على سبيل المثال، عندما نقول ألماني، أي أن هذا الفرد ينتمي إلى الأمة الألمانية الناطقة باللغة الألمانية. وبهذا المعنى تستعمل اللغة لإنشاء حدود بشكل فعال داخل المجموعة وخارجها؛  
ثالثاً- إن المكانة المعطاة للغة المجموعة العرقية من قبل المجتمع، تنقل إلى الفرد مكانة المجموعة ككل في المجتمع. بعبارة أخرى، تكاد جميع تصرفاتنا الفردية والاجتماعية تتم من خلال اللغة. إضافة إلى ذلك فإن اللغة ليست مجرد أداة تواصل، وإنما هي آلية هائلة ينكشف الواقع الاجتماعي من خلالها. بل والأهم من ذلك، هي بمثابة المشهد الذي يتم فيه بناء وتطبيق علاقات القوة (الرمزية) والسيادة. وعلى ضوء ذلك، فإن اللغة لا تحمل مضموناً فقط، وإنما هي مضمون بحد ذاتها. اللغة هي واقع وتُستعمل لتعزيره. (Giles and Johnson, 1987)  
والأهم من ذلك، أن اللغة هي حدث اجتماعي. لهذا فإن الظروف السياسية، والتاريخية والاجتماعية ضرورية جداً لدراسة اللغة وفهم مكانتها، والأداءات التي تقوم بها (Bourdieu, 1990) وبهذا المعنى فإن اللغة ليست ناقلة الثقافة المادية والقيمية فقط، بل هي جزء من ماهية هذه الثقافة، وذلك ان اللغة ليست القناة التي تمر من خلالها قيم وثقافة وحضارة المجتمعات، بل هي أساس كل ذلك. وغياب اللغة عن كل ذلك يفقدها مكانتها، وحتى حضورها الثقافي والتاريخي.  
لقد تم إرساء الصلة الوثيقة بين اللغة والهوية القومية في نهاية القرن التاسع عشر مع قدوم القومية (شوهاي، 1996

الاجتماعية التي تخطت الحدود القومية سوف تحل محل العرقية: سوف تتحد البروليتاريا الدولية ضد الرأسمالية العالمية. يعلن الآن الباحثون المحدثون أنه يجب أن لا تكون لنا هويات دائمة وإنما فقط هويات مرنة مؤقتة ومتنقلة: كل شيء صلب يذوب في الهواء. ولكن الهويات العرقية وخصوصاً الهويات العرقية اللغوية هي صلبة ومنتينة ومفعمة بالحياة. والعرقية ليست ميتة على الإطلاق، والصحيح هو العكس تماماً.

وترتبط العلاقات العرقية والتسامح حيال الهويات الأخرى بدرجة الأمان التي تتمتع به المجموعة ونظرة أفراد المجموعة حيال هويتهم. واستنتج لامبرت ومريمجس وتايلور (50:1986 Lambert, Mermigis, and Taylor) بأنه "كلما كان أعضاء المجموعة أكثر أمناً وإيجابية حول هويتهم فإنهم يكونون أكثر تسامحاً مع المجموعات الأخرى."

### 3. اللغة والهوية الاجتماعية

رغم أهمية اللغة في حياتنا في كل المجالات الحياتية والتي تؤثر عليها طويلاً وعرضاً، إلا أن دراسة اللغة تحت مظلة علم اللغة تركزت لقرون عديدة حول مبنى اللغة (على سبيل المثال، الأصوات، الصرف، النحو، الإعراب)، واعتبرت اللغة نظاماً مغلقاً (closed system)، أي أن السياق الاجتماعي لم يكن ذا بال في دراستها. وفي الخمسين سنة الأخيرة حصل تغيير جذري بمفهوم اللغة ووظائفها مع قدوم علم اللغة-الاجتماعي (sociolinguistics) وبلورته، وإدراك اللغة على أنها نظاماً مفتوحاً (open system) تؤثر وتتأثر فيما حولها. ووفق هذا المفهوم أصبح السياق الاجتماعي جوهرياً في فهم ودراسة اللغة وأثر لاحقاً على العلوم التطبيقية للغة (applied linguistics).  
تقوم اللغة بالكثير من الوظائف في حياتنا اليومية. إن الوظائف المتنوعة والمتعددة التي يتم تأديتها من خلال استعمال اللغة هي انعكاس، ونقل، وتشكيل للواقع الذي نحياه. ويفضّل هارمان (Harrman 1999: 63) الوظائف المتنوعة للغة كالاتي:

بالإضافة إلى إنشاء شبكة للمعرفة حول العالم، فإن اللغة تُستخدم أيضاً للتعبير عن المشاعر والاتجاهات والقيم، لقول الأكاذيب وللمراوغات، للشتم والإهانة، للمديح والتوبيخ. اللغة هي وسيلة تفعل أشياء للناس وتسبب ردود فعل إيجابية وسلبية. تمكّن اللغة

(Shohamy). ويُعتقد أن اللغة هي أحد أهم مؤشرات الهوية الفردية والجماعية. وأنها أحد المكونات الرئيسة التي تعرّف بها المجموعات وتشكل هويتها، وهي في الوقت ذاته، تؤثر أيضاً على طبيعة العلاقات بين المجموعات العرقية المختلفة (ادواردز، 1988؛ فيوفيرغر، 1989؛ Feuverger؛ غايلز، 1977؛ Giles؛ تاجفل، 1978). وفي هذا الصدد يقول بوتش "إن اللغة هي غالباً أكثر رموز العرقية بروزاً، لأنها حملت الماضي، وتعبّر عن الاتجاهات والطموحات الحاضرة والمستقبلية" (بوتش، 2000: 25 Bosch).

وهناك ادعاء، أيضاً، يقول بأن اللغة هي أحد المكونات الرئيسة التي تستعملها المجموعات كرمز للهوية والانتماء الثقافي (غايلز وآخرون، 1977 Giles et al). وبالإضافة لذلك، يتم إدراك اللغة بأنها عامل موحد لثقافة معينة، ورمزاً قوياً للهوية الجماعية (شوهامي ودونيتسا-شميدت، 1998 Shohamy and Donitsa-Schmidt).

ويبين لنا ادواردز (1988:1 Edwards) بأن "القضايا المتعلقة باللغة والهوية مركبة جداً. فجوهر المصطلحات نفسها مفتوح للنقاش، ونتيجة لذلك أخذ بعين الاعتبار العلاقة بأنها محفوفة بالصعاب". في حين أننا نثق بأن اللغة تلعب دوراً هاماً في تشكيل الهوية القومية، يعتقد ديوتش (1966 Deutsch) كذلك أنه عندما تتحالف اللغة مع العديد من العوامل الأخرى، فإنها تساعد سوية على خلق قنوات مكملة في الاتصال الاجتماعي. يقول سليمان (2003: 32 Suleiman) لتكون أكثر فاعلية، فإن دور اللغات كراسمة للحدود أو لاعبة دور الحارس، تتطلب التمييز بين وظيفتين أساسيتين: التواصلية (أو الأدائية) والرمزية التي، بالرغم من أنها مترابطة في الاستعمال اللغوي العادي، إلا أنها منفصلة من الناحية التحليلية". تجدر الإشارة، إلى أن طبيعة العلاقة بين اللغة والهوية ليست واضحة دائماً، وأن هنالك الكثير من الأسئلة حول طبيعة هذه العلاقة، والتي لا إجابات قاطعة عليها.

إن موضوع العلاقة بين اللغة والعرقية هو في أساسه موضوع جدلي. ويتخذ اتجاهين رئيسيين في هذا المنحى. في الوقت الذي ينكر الاتجاه الأول الصلة المباشرة والضرورية بين اللغة والهوية العرقية، ويدعي بأن العلاقة بينهما عارضة (مثلاً أبل ومايسكن، 1987 Appel and Muysken). يشدّد الاتجاه الثاني، على أن اللغة وسيلة للهوية العرقية، وهي المعيار الأساسي إلى جانب التراث الثقافي والفرضيات والقيم والمعتقدات (مثلاً فيشمان، 1977 Fishman).

وبالرغم من أننا قد أظهرنا بأن اللغة هي مكوّن في غاية الأهمية للهوية العرقية، فمن الواضح أن أهميتها تختلف باختلاف الأوضاع والسياقات، وأن أهميتها هي أقل بالنسبة لبعض

المجموعات، وأكبر لدى مجموعات أخرى. ويعتمد الرابط بين اللغة والهوية على السياق الاجتماعي المتعلق بالجماعات اللغوية المقصودة. هذا يعني أن أهمية اللغة بالإمكان أن تزداد أو تقل بالنسبة لنفس المجموعة حسب الظروف والسياقات الاجتماعية. ويدعي لايبكيند أن اللغة ليست المعيار الهام الوحيد، وليست بالضرورة أهم معيار لجميع المجموعات الاجتماعية (لايبكيند، 1999 Leibkind).

### 3.1 اللغة العربية والهوية الاجتماعية

سنبين في هذا الجزء أهمية اللغة العربية في الهوية العربية الجماعية. ونعتقد أن لها سياقات خاصة، وتلعب اللغة في الحالة العربية دوراً مركزياً في بلورة الهوية. يقول البرت حواراني (1983: 260):

هؤلاء الذين يتحدثون العربية يشكلون "أمة"، وهذه الأمة يجب أن تكون مستقلة وموحدة، وهي معتقدات أصبحت بينة واكتسبت قوة سياسية خلال القرن (أي القرن العشرين). ولكن عودة إلى الوراء في التاريخ، كان العرب واعون وبشكل خاص للغتهم وفخورون بها، وفي شبه الجزيرة العربية في الفترة الجاهلية، كان لهم انتماء "عنصري"، انتماء ما وراء الصراعات القبلية والعائلية، كانت هنالك وحدة ضمت هؤلاء الذين تحدثوا العربية وادعوا أنهم انحدروا من قبائل شبه الجزيرة العربية"

انتشرت اللغة العربية في العديد من الأشكال الأيديولوجية في القرن العشرين، وشمل ذلك القومية العربية، القومية المحلية (أي مناطق معينة من العالم العربي)، أو ما يمكن تسميته بالقومية "الإسلامية"، وفقاً لوصف سليمان (سليمان، 2004: 38) "القومية العربية في صيغتها الكلاسيكية هي من الصنف الثقافي. رغم أن المركبات التي تكون الأمة العربية لربما اختلفت من اديولوجي (مُنظّر للقومية) لآخر، هنالك على الأغلب اتفاق عام أن اللغة مركب أساس، أن لم تكن الأساس، في تعريف القومية" (سليمان، 2004: 38).

أهمية اللغة العربية كقوة توحد العرب وجدت لها صدى في حزب البعث وعند الرئيس المصري الراحل، جمال عبد الناصر. فدور اللغة العربية الموحد يفسر النداءات التي أطلقها مناصرو القومية العربية لحماية العربية من تسرب ممارسات لغوية مستوردة من الخارج، سواء أكان ذلك باستعمال لغات أجنبية

بالإسلام. فالإسلام هو الرابط الأسمى. ويسوق الإسلاميون العديد من الحجج للدفاع عن العربية، منها: اللغة العربية هي لغة القرآن والحديث ومكانة اللغة العربية بمفاهيم تاريخية في العالم بسبب ارتباطها بالإسلام، والعربية بدون الإسلام كجسد بلا روح (أنظر، الغزالي، 1998؛ الجندي، 1982؛ النحوي، 1998). ونريد أن نؤكد أيضاً أن ارتباط اللغة بالدين الإسلامي، بمعجزة القرآن المتمثلة بلغته يعزز من أهمية اللغة العربية في الهوية العربية، ويجعلها لربما من الحالات ذات الخصوصية مقارنة بلغات وأوضاع أخرى.

إن قصب السبق للمحافظة على اللغة العربية من الضياع، كما حدث لشقيقاتها من اللغات السامية، يعود بالدرجة الأولى إلى القرآن الكريم ومن ثم إلى بعض المثقفين التقليديين، حملة لواء الحضارة والقومية العربية ورجال الدين، الذين أصروا على استخدام اللغة العربية وجعلها القلب النابض للهوية العربية؛ فالتعليم التقليدي هو الذي احتوى وعاء اللغة العربية وحضارتها ونقله إلى الأجيال اللاحقة، وبفضله استطاعت العربية شق عباب الظلمة في الفترات العصبية التي انتابتها.

### 3.2 اللغة والهوية في إسرائيل

مرت فلسطين بالكثير من التحولات الجيو-سياسية في تاريخها الطويل، ودخلتها حضارات ولغات عديدة. لكنه من المؤكد أن فلسطين بعد الفتح الإسلامي أصبحت بمشهدها العام عربية اللغة والثقافة. بالرغم من وجود العديد من اللغات والثقافات، إلى أن العربية كانت الحاضرة الأقوى في ربوعها.

لقد أدت نهاية الحكم العثماني في فلسطين عام 1917 إلى تغييرات بعيدة المدى في جميع مناحي الحياة ومن ضمنها اللغة. لقد عزز الانتداب البريطاني في فلسطين مكانة اللغة العبرية التي ترسخت آنذاك كلغة تم إحيائها للمجتمع اليهودي وأصبحت لغة رسمية إلى جانب العربية والإنجليزية (أنظر أمانة 2002؛ أمانة ومرعي، 2002؛ سبان وأمانة 2002).

وأثناء فترة الانتداب البريطاني في فلسطين كانت اللغة الإنجليزية اللغة الرئيسية للحكومة. ولكن وبالرغم من حقيقة أنه كانت للمجتمعات العربية واليهودية أنظمة مدارس مختلفة، فقد كان للعرب اتصال لغوي مع اليهود الذين، بشكل عام، تعلموا اللغة العربية.

إن إحياء اللغة العبرية ودخولها الحلبة كان عنصر رئيسي في تغيير المشهد اللغوي<sup>3</sup> (language landscape) الاجتماعي في

(مثل الفرنسية في شمال أفريقيا) أو مظاهر لغوية للغات أجنبية في مناحي الحياة المختلفة.

ومن أبرز المناصرين للفكر القومي العربي ساطع الحصري (1880-1968).<sup>1</sup> ففي كتابه "آراء وأحاديث في القومية العربية" (1985) يؤكد أن مفهوم القومية العربية مرتبط ارتباطاً عضوي بالغة العربية، ويقترح تعريفاً للقومية العربية بناءً على اللغة بالدرجة الأولى، وعلى التاريخ المشترك بالدرجة الثانية.<sup>2</sup> ويشكل هذا الكتاب مساهمة أساسية في موضوع العلاقة بين اللغة العربية والقومية العربية، ويعتبر من أهم التنظيرات التي ساهمت في جعل اللغة العربية مكوناً أساسياً من الهوية القومية، وتعريف العرب قومياً (الحصري، 1985).

ذكرنا أن اللغة العربية دوراً مركزياً في تشكيل القومية العربية في البلاد العربية وأحد مركباتها الأساسية. لا شك أن مركبات أخرى ذكرت مثل: التاريخ، الثقافة، العادات والتقاليد، الجغرافيا من قبل مناصري الفكر القومي، لكن لم يحظ أي مركب من هذه المركبات بالأهمية التي حظيت به اللغة، إلى حد أن سليمان (2003: 162) ذهب إلى الاستنتاج مفاده "أنه من الصحيح القول أن القومية العربية مبنية على الافتراض بأن أولئك الذين يتشاطرون اللغة العربية كلغتهم الشائعة ينتمون إلى نفس الشعب".

لم يكن الفكر العربي واللغة العربية كمركب أساس فيه هو التيار الوحيد في العالم العربي. فدور العربية ارتبط بالقومية المحلية والقومية الإسلامية. فأولئك الذين يدعمون القومية المحلية في العالم العربي ينكرون أن بوسع العربية أن تشكل أساساً للهوية القومية لتشمل كل أولئك الذين يشتركون في لغة واحدة. لا شك أن هؤلاء ينكرون شرعية القومية العربية، ويؤمنون بالهويات المحلية، كما تجلى في التيارات المختلفة التي ظهرت، على الأخص، في مصر ولبنان. فنرى من المثقفين، على سبيل المثال، المصري سلامة موسى (1947) الذي سعى إلى التقليل من أهمية اللغة العربية الفصحى ووصفها على أنها متخلفة ومتحجرة وغير مناسبة لحاجات العرب في العالم الحديث. فهذا ليس بغريب في العالم العربي، ففي استطلاعات عدة وصف شباب من المغرب العربي بأن العربية الكلاسيكية هي "لغة الرب"، أي لغة الماضي، وأن الفرنسية هي "لغة الحداثة"، أي لغة الحاضر (بن طحيلة، 1983)

وماذا عن "القومية الإسلامية"؟ هذا التيار يعارض المواقف الدنيوية تجاه اللغة العربية. فهو يعارض الربط بين العربية والمشاريع الأيديولوجية المختلفة ويساند مكانة العربية بربطها

1 . ومن الشخصيات الأخرى البارزة والمناصرة للفكر العربي واللغة العربية نذكر الشيخ عبدالله العلايلي، نديم البنتار، وزكي الازرؤزي.

2 يعّد الحصري من أبرز المنادين والمدافعين عن فكرة القومية العربية. ففي مواجهة دعاة فكرة الإقليمية في مصر، يرى الحصري أن من شأن اللغة والتاريخ أن يجعلوا لمصر المكانة القيادية في العالم العربي.

3 ويشير المشهد اللغوي (لاندي وبوريس، 1997 Landry and Bouhris) إلى جميع الأشياء اللغوية التي تُبرز معالم الحياة العامة وتشمل لافتات الطرق وأسماء المواقع والشوارع والبنيات والأماكن والمؤسسات، وأيضاً لوحات الإعلانات والإعلانات التجارية وحتى بطاقات الزيارة الشخصية. وتكون بعض هذه الاستعمالات اللغوية من قبل مؤسسات الدولة والبعض الآخر من قبل المجتمعات المحلية وأخرى من قبل الشركات والهيئات والأفراد. ويقدم المشهد اللغوي لبلد أو لمنطقة أو لموقع معلماً مميزاً للمنطقة التي يسكنها مجتمعات لغوية معينة.

فلسطين. وبفضل تأثير الأيدولوجية الصهيونية، أصبحت اللغة العبرية الرمز الرئيسي والناقل لهوية قومية جديدة بينما تم تهميش الهويات القديمة التي أحضرها المهاجرون اليهود إلى فلسطين من الشتات وكذلك تم تهميش اللغات الأم أو تركها كلياً (شوهامي، 1999:82).

إن الصلة بين اللغة والهوية كما تبنتها أيدولوجية الحركة الصهيونية عنت أحادية اللغة. وقد شجعت هذه الأيدولوجية أو بالأحرى ضغطت على المهاجرين اليهود إلى إسرائيل بأن يتعلموا اللغة العبرية كاللغة الرئيسية. وقد شجعت هذه الأيدولوجية الانتقال اللغوي من لغاتهم الأصلية إلى العبرية وقد نُظر إلى المحافظة على اللغات الأم وحتى اللغات الأخرى بأنه تعبير عن الكراهية ومقاومة الهوية القومية الجديدة (شوهامي، 1994؛ سبولسكي وشوهامي، 1999 Spolsky and Shohamy). وفي هذا الواقع فقد تم النظر إلى اللغات الأخرى كعوائق أمام نجاح الأيدولوجية الصهيونية.

وبدون شك فقد كانت العبرية (الأيدولوجية الأحادية اللغة للعبرية) ناجحة جداً. فقد دعمت الحكومة المركزية اللغة العبرية بكل الوسائل. وعبر السنين أصبحت اللغة العبرية اللغة الرئيسية في كل من المجالات الخاصة والعامة. فقد أصبحت اللغة العبرية اللغة الرئيسية للاتصال في إسرائيل عندما تبنت أجيال جديدة من الإسرائيليين والمهاجرين بسرعة "اللغة العبرية كلغة وطنهم ولغتهم الأم في عملية اتخاذ هويتهم الجديدة كيهود إسرائيليين." (شوهامي 1999:83). وقد تسربت العبرية أيضاً بنجاح إلى المخزون اللغوي للفلسطينيين في إسرائيل.

ولكن بالرغم من نجاح سيطرة اللغة العبرية فإن بعض الجماعات (بشكل رئيسي الفلسطينيين في إسرائيل وبعض الجهات الأوثوذكسية المتطرفة (الحرديم) والمهاجرون الجدد من روسيا في التسعينيات) استمروا في استعمال اللغات الأخرى وحافظوا على هويات أخرى وان كان ذلك لأسباب ودوافع متنوعة.

ويدعي سبولسكي وشوهامي (1999) أن الأيدولوجية أحادية اللغة لإسرائيل - "لغة واحدة، شعب واحد" - تتغير وإن البلاد تظهر إشارات لتسامح أكبر حيال اللغات المتعددة. وبالرغم من أن الادعاء الذي أثاره سبولسكي وشوهامي قوي جداً (لأن اللغة العبرية هي اللغة الوحيدة والمسيطرة في معظم المجالات العامة) إلا أنه توجد بعض الإشارات للتنوع لغوي (language diversity) أكبر في المجالات العامة والخاصة في إسرائيل عما كان عليه الحال في سنوات مضت.

لقد طرأ في السنوات القليلة الماضية اعتراف وشرعية متنامية بحقيقة تعدد اللغات في إسرائيل. اللغة الإنجليزية تشكل تحدياً

جدياً لأحادية اللغة في إسرائيل. فمع تزايد العولمة والاتصال الدولي فإن القوة غير المسبوقة للغة الإنجليزية في العالم والعلاقة القوية والفريدة مع الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة فقد ازدادت الحاجة إلى العمل الفعال في العالم من خلال اللغة الإنجليزية وهكذا فإن اللغة الإنجليزية تتحدى فعالية أيدولوجية أحادية اللغة العبرية.

وتحدي آخر قادم من اللغة الروسية. يدعي عدد من الباحثين (أنظر، على سبيل المثال، الحاج وليشم، 2000) بأن الهجرة الروسية إلى إسرائيل في التسعينات كانت بشكل رئيسي برغماتية وليست أيدولوجية. أي أنهم يقولون بأن الهجرة إلى إسرائيل كانت من أجل فوائد اجتماعية-اقتصادية. وعلى عكس المهاجرين الآخرين إلى إسرائيل في الماضي فإن هؤلاء المهاجرين يشعرون بثقة أكبر في لغتهم الأم ويستعملونها لأغراض متنوعة وليس فقط في البيت وإنما أيضاً في المجالات العامة عندما يكون ذلك ممكناً، مثلاً على لافتات حوانيتهم وهم أيضاً يعبرون عن فخرهم بلغتهم الأم وثقافتهم.

إن العمال الأجانب هم قضية رئيسية في الأمور الاجتماعية-السياسية في إسرائيل اليوم ومن ضمنها اللغة. ويقدر عدد هؤلاء العمال بأكثر من ثلاثمائة ألف عامل. وفي مخاطبتهم يستعمل مشغلوهم لغة عبرية مبسطة (Hebrew Pidgin - نوع من اللغة المبسطة) أو اللغة الإنجليزية إذا كان يعرفها كل من المشغل وصاحب العمل (أبليت هشاحر ونيره هراتي، 2002). اللغات التي يجلبها العمال الأجانب لإسرائيل تزيد من التنوع اللغوي في المشهد العام، وتعطي للعبرية مزايا لغوية لم تكن مألوفاً من قبل. لكن هذه اللغات لا تهدد العبرية في إسرائيل.

رغم أن الحالات المذكورة سابقاً تشكل تحديات لا يستهان بها لأحادية اللغة في إسرائيل، إلا أن التحدي الأكبر أت من اللغة العربية. فالدولة العبرية جزيرة في محيط عربي، للغة العربية جذور في كل زاوية من هذه الأرض: للإنسان، للشوارع، للحارات، للقرى والمدن، للسهول وللجبال، للمؤسسات. حتى تلك الأماكن التي هُودت، أخذت الاسم العبري الجديد ما زالت تحمل الاسم العربي الفلسطيني كجزء من الذاكرة الفلسطينية النابضة. إضافة فإن العرب من مواطني إسرائيل هم أهل وطن وأقلية أصلانية، تطلب المشاركة في هوية الدولة، وللغة دور هام في تشكيلة الثنائية اللغوية. في الواقع الإسرائيلي نلاحظ تغيرات معينة. إن اللغة العربية التي تم إدراكها وممارستها كلغة الأمن بدأت تتغير. وتأتي التغيرات من داخل ومن خارج إسرائيل. وبعد معاهدات السلام مع بعض الدول العربية والفلسطينيين تسمع أصوات في إسرائيل في الدوائر المختلفة للحاجة إلى تعزيز وضع تعلم اللغات ومكانة اللغة العربية في إسرائيل. وتبدل بعض الجهود لتعليم العربية في مساق موسع وذلك بشكل

الحفاظ على لغة الأقلية الإثنية على المدى البعيد أو فقدانها. وقد تمّ الحديث عن المتغيرات تحت ثلاثة عناوين رئيسية: (1) متغيرات المكانة؛ (2) متغيرات ديموغرافية؛ (3) متغيرات الدعم المؤسسي.

يدّعي هذا النموذج أنه كلما كانت الحيوية اللغوية للمجموعات الإثنية أكبر، تزداد قدرتها على حفظ هويتها الاجتماعية الجماعية ولغتها الأم في مختلف مجالات الحياة. وفي المقابل، فإن المجموعات الإثنية اللغوية الأقل حيوية (أو التي تنقصها الحيوية) قد تفقد هويتها الاجتماعية المميّزة ولغة الأم لديها، أيضاً.

في إطار عوامل المكانة، فإننا نتحدث عن الرفاهية الاقتصادية لدى المجموعة، مكانتها الاجتماعية والمكانة الرمزية للغتها. الفلسطينيون في إسرائيل متعلقون بشكل كامل، تقريباً، بالأغلبية اليهودية من الناحية الاقتصادية، وللغة العربية قيمة متدنية في سوق اللغات الإسرائيلية. وفيما يتعلق بمكانة اللغة، رغم أنها معترفٌ بها كلغة رسمية، فهي لا تحظى بمكانة عالية في الدولة. لكن الفلسطينيين في إسرائيل يرون في اللغة العربية مركباً هاماً في هويتهم الوطنية والقومية. وبناءً على ذلك، فإن فحص عوامل المكانة يكشف أن مستوى حيوية اللغة العربية في إسرائيل منخفض حتى متوسط (أمارة، 2006).

ترتبط المتغيرات الديمغرافية ضمن نموذج "الحيوية الإثنية اللغوية" الذي وضعه Taylor و Giles, Bourhis بعدد المتحدثين بلغة معيّنة داخل منطقة معيّنة، بالتوزيع الجغرافية لمجموعة لغة الأقلية، وبعدد حالات الزواج المختلط الثنائي اللغة. وخالفاً لعوامل المكانة، يشير تحليل العوامل الديمغرافية إلى أن حيوية العربية متوسطة- عالية. فالعربية هي لغة البيت، لغة المجتمع (إلى جانب تآكل معيّن في المدن المختلطة ولدى أشخاص يخدمون في الجيش الإسرائيلي) ويتمّ نقلها للجيل القادم (أنظر أمارة، 2006).

هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر إلى حدّ كبير في حيوية لغة الأقلية، وهي ترتبط بالدعم المؤسسي الذي تتلقاه اللغة. تشمل المؤسسات ذات الصلة "المؤسسات القطرية، اللوائية والمحلية، المنظمات الدينية والاجتماعية، الإعلام الجماهيري.. والتعليم، وهو ما لا يقل أهمية" (Baker, 1993: 53). فكلما كان أعضاء مجموعة الأقلية ولغتها ممثلين أكثر في المؤسسات المختلفة، ازدادت حيوية لغتهم، فبتمّ، بالتالي، الحفاظ عليها. خلاصة القول، إن العربية تستعمل في المؤسسات الفلسطينية كافة. وتستعمل المؤسسات العاملة في مجال علاقات العرب واليهود كلاً من العربية والعبرية. العبرية هي اللغة الأبرز على المستوى القطري، وهي تُستعمل كلغة اتصال بالنسبة إلى العرب واليهود. ففحص العوامل المؤسسية يبيّن أن مستوى

رئيسي للاتصال والأعمال وتعليم العربية في المدارس اليهودية بشكل أكثر تكثيفاً. ولكن حالة عدم الحرب وعدم السلم لا تساهم في تعليم العربية لأغراض مدنية. السلام الحقيقي والشمولي في الشرق الأوسط لربما سيحول اللغة العربية إلى لغة مدنية بين اليهود بدلا من كونها لغة العدو في المفهوم الإسرائيلي العام.

وثمة ضغط آخر قادم من المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل. فإنهم يريدون الدولة أن تعترف بالمكانة الرسمية للغة العربية كأمر واقع في المجالات العامة وليس فقط بشكل قانوني على المستوى التصريحي. النشاط الرئيسي للفلسطينيين في إسرائيل في هذا المجال يعتمد إلى حد بعيد على أخذ الحالات اللغوية إلى المحكمة العليا. لكن التغير الجوهرى ما زال بعيداً من أن يتحقق وذلك لأن صراع الهويات بين اليهود والعرب واليهود في أوجه.

#### 4. اللغة العربية وحيويتها في إسرائيل

في ضوء الواقع اللغوي-الاجتماعي الذي نشأ بعد عام 1948، والذي تحوّل فيه العرب الفلسطينيون إلى أقلية مهمّشة في إسرائيل، ما مدى قدرتهم على الحفاظ على اللغة العربية، لغتهم الأم؟ وخصوصاً في ظل بقاء مجتمع ريفي قروي وغياب الحاضرة المدنية الفلسطينية التي تطورت فيها الثقافة والإبداع الأدبي والعلمي، فإذا كان الجواب إيجابياً، فإلى أي مدى وفي أي مجالات سيتمّ استعمال العربية؟ أم أن الجواب هو عكس ذلك، وأن الواقع الاجتماعي اللغوي سيميل في اتجاه العبرية، لغة الأغلبية السائدة في إسرائيل؟

نطرح هذه الأسئلة ونحن مدركين تماماً أننا لا نتحدث عن حالة أغلبية-أقلية عادية وما يترتب عليه من علاقات بينهما. نحن نتحدث عن أقلية وطن، تختلف مع الأغلبية اليهودية حول الرواية التاريخية، الأرض والحيز، ماهية الدولة والصراع العربي-الإسرائيلي. فما يعطي وضعية المجتمع الفلسطيني في الداخل خاصية هو أن علاقته بالدولة وصراعه معها ليس فقط على مطالب مادية أو مطلبية فقط، وإنما هو صراع على الهوية عموماً، والهوية الثقافية خصوصاً وفي جوهرها اللغة العربية حيث أنها جزء من ماهية الثقافة العربية وليس أداة لنقلها أو إنتاجها فقط. من هنا تأتي أهمية اللغة العربية كونها أحد

المؤشرات والمركبات الهامة في هويتنا العربية الفلسطينية. أحد الأطر العلمية والنظرية التي تمكنا من فحص حيوية اللغة العربية في إسرائيل هو نموذج "الحيوية الإثنية اللغوية" (Ethno Linguistic Vitality) الذي عرضه Giles, Bourhis و Taylor (1977). حيث يقترح هذا النموذج، باختصار، مجموعة من المتغيرات من خلال تقديم عوامل بنوية تساعد على

الجوهرية مهم جدا في سياقنا. فلغة العربية في إسرائيل قيمة جوهرية، أي أن لها بذاتها هذه القيمة وليس ما يتمخض فقط عنها.

ففي دراسة جديدة لدفنة يتساحكي (2008) تبين بوضوح أن الأهمية المعطاة للغة العربية في إسرائيل ليست كونها لغة أقلية قومية وإنما للقيام بوظائف أدائية لهذه اللغة في الحيز العام، وعندما تتعداها هنالك معارضة كبيرة لها بين اليهود.

تم التعامل مع اللغة العربية في إسرائيل عامة وفي جهاز التعليم على وجه الخصوص من المنظور الأدائي-النفعي للغة، وليس كمؤشر لأقلية قومية. فالأيديولوجية الصهيونية - اليهودية لعبت وما زالت دوراً هاماً فيما يتعلق بالتعليم والسياسات المتبناة. وقد حاولت إسرائيل، من خلال أيديولوجيتها وسياساتها، كما تعكس في سياسات وزارة المعارف، أن تفصل القومية عن تعليم اللغة العربية (أي تفرغ تعليم اللغة العربية من الهوية والوعي القومي)، وأن تجعل قطاعات كبيرة من المجتمع العربي تنشأ على التربية العبرية (من خلال الاستعمال الزائد للثقافة والأدب اليهودي في تعليم العبرية)، وهدفت إلى خلق عرب موالين للدولة اليهودية، بدلاً من أن تخلق مواطنة حقيقية (أمانة ومرعي، 2002).

وتم تطبيق تلك السياسة من خلال الأهداف التعليمية والبرامج الدراسية والكتب المقررة. إن أحد الأهداف الرئيسية للتعليم الإسرائيلي في الوسط العربي هو تفرغ التعليم العربي من مضمونه القومي. وفي هذا السياق، يقول الحاج (1996: 98): "بدلاً من تنمية المكون القومي-العربي، نشد صانعو السياسة تقوية المكون الثقافي-الديني، ومكون المواطنة الإسرائيلية". (أمانة ومرعي، 199: 2004-200).

تؤكد هذه السياسة على تعريف إسرائيل وتصورها على أنها دولة يهودية-صهيونية، وطبقت هذه السياسة من خلال البرامج الدراسية. بداية، ألغيت استعمال البرامج الدراسية والكتب المقررة القديمة التي كانت مستعملة أثناء فترة الانتداب. ثانياً، دأبت البرامج الدراسية، والكتب المقررة على تشديد سيطرة الدولة على مضامين التعليم العربي (الحاج، 1996). يظهر تحليل أهداف التعليم العربي والبرامج الدراسية والكتب المقررة، بوضوح، أن الدولة عملت جاهدة على إضعاف الهوية العربية الفلسطينية بين العرب (بيرس وآخرون، 1968؛ مرعي، 1974؛ لستك 1980).

لم تنجح هذه السياسات في طمس الهوية الجمعية العربية - لأنها وجدت لها طريقاً خارج جدران المدرسة - أو في تحسين المستوى التعليمي في المواضيع المختلفة، ولا في بناء فضاءات مشتركة هامة بين الطلاب العرب واليهود في هذه البلاد. إذا المنطلقات التي طرحناها في القسم السابق هي المسار

حيوية اللغة العربية في إسرائيل متوسط (أمانة، 2006). بإيجاز أقول، رغم التحولات السياسية التي جرت في المنطقة، تم المحافظة على اللغة العربية بين السكان الفلسطينيين من مواطني إسرائيل<sup>4</sup> ربما كان العامل الأكثر أهمية في حيوية العربية في إسرائيل هو قرار لجنة التعليم، مواصلة السياسة البريطانية التي مكّنت المدارس الفلسطينية من التعليم بالعربية. وفيما يتجاوز ذلك، فإن نجاح العربية في الحيز القطري العام محدود جداً، وتكاد تكون هيمنة العبرية مطلقة. حين يخرج فلسطيني أو فلسطينية من بلدتهما اليوم، فإنهما لن يتمكن، على الغالب، من إدارة شؤونهما من دون العبرية. فمعرفة العبرية هي شرط حيوي لإدارة الأمور بشكل ناجح. لقد ساهمت مواصلة التعليم باللغة العربية والتشبث بالدين الإسلامي في حفظ العربية في المشهد اللغوي-الاجتماعي في إسرائيل كلغة هامة، وبهذا تم الحفاظ على الهوية الشخصية والقومية للفلسطينيين داخل الدولة العبرية.

رغم أننا نستطيع أن نقول أن اللغة العربية معافاة ونابضة، وإنها لغة تنتقل من جيل إلى جيل وتُستعمل في سياقات وحيّزات كثيرة، إلا أن التحديات كبيرة، وخاصة القادمة من اللغة العبرية.

## 5. اللغة العربية في التعليم العربي

تلخص الينيسكو (2008) أهمية اللغة في المجتمعات متعددة اللغات "كجوهرية لهوية المجموعات والأفراد ووجودهم الآمن.... (و) عامل إستراتيجي نحو تطور دائم وعلاقة متناغمة بين السياق العالمي والسياسي المحلي".

فالفيلسوف السياسي المعروف وليام كيمليكا (William Kymlicka, 1995) في كتابه "مواطنة متعددة الثقافات" يميز ومايز بين حقوق الأقليات. فميز بين الأقليات القومية، كما هو حال العرب في إسرائيل، والأقليات المهاجرة، على سبيل المثال ملايين الأتراك المتواجدين في ألمانيا والذين قدموا إليها في القرن العشرين لأسباب اقتصادية. فهو يدعي أن التآكل التدريجي في لغات المجموعات المهاجرة يُنظر إليه كظاهرة حتمية وشرعية في عملية بناء الدولة القومية. لكن هذا ليس هو الحال فيما يتعلق بلغات المجموعات القومية، وبناء الدولة القومية لا ينطبق عليهم ولا يكمن استعماله لتبرير تآكل لغاتها. هذا يعني أن للأقليات القومية الحق في المحافظة على لغاتها في الحيزين الخاص والعام.

وتناقش بينتو (Pinto, 2007) أن للعرب مواطني إسرائيل كأقلية قومية، خلافاً للأقليات الأخرى في الدولة، مكانة متميزة، وذلك لان اللغة العربية هي المؤشر الأساسي بالنسبة لهويتهم الثقافية. والحقيقة أن الفصل بين القيمة الأدائية للغة مقابل قيمتها



يحصل إلى الآن. ففحص المناهج المختلفة والكتب المتنوعة في المواضيع المختلفة، يعطي القارئ الانطباع أنها حضرت في أقطار مختلفة ولا يوجد بينها ربط أو تناغم.

استعمال اللغة العربية ليس فقط كلغة تدريس، وإنما استعمالها للتواصل اليومي بين جميع أقسام جهاز التعليم العربي وفي عملية اتصالها مع المدارس العربية. هذا الاستعمال من شأنه أن يحسن من مستوى الممارسات في اللغة العربية ومن ثم ينعكس في التحصيل. إضافة إلى ذلك فالاستعمال المكثف للعربية يساعد على بناء الهوية الجمعية، بما فيها الهوية الثقافية. تنمو اللغة بالاستعمال والممارسة، وإذا لم تستعمل اللغة العربية في مواقع وسياقات مختلفة ستفقد مع الوقت من حيويتها وأهميتها، سواء من الناحية الأدائية أو الرمزية.

تعزيز مكانة اللغة العربية في المدارس العربية

1. تغيير السياسة التربوية اللغوية الحالية بحيث تصبح اللغة العربية اللغة المتعلمة الوحيدة إلى الصف الثاني، ويتم تعليم اللغة العبرية ابتداء من الصف الثالث واللغة الانجليزية من الصف الرابع. حالياً هنالك الكثير من المدارس التي تبدأ بتدريس العبرية من الصف الثاني والانجليزية من الصف الثالث. هنالك حاجة لتمكين الطالب العربي من لغته الأم كتابة وقراءة قبل البدء بتعليم لغة أجنبية.

2. تعزيز اللغة العربية كجزء أساسي من البيئة التعليمية - مناهج اللغة العربية القديمة اعتبرت موضوع اللغة العربية وما يدور داخل الصف الحلقات الأساس لتعلم اللغة العربية السليمة. هذا المفهوم لتعليم اللغة لا يساعد على خلق ظروف مساعدة لتعلم اللغة. هنالك بحاجة لبيئة تعليمية داعمة لخلق شروط أفضل لتعلم اللغة. فمنهاج التربية اللغوية الذي صدر حديثاً (منهج التربية اللغوية، 2008)، يؤكد أن التعلم الفعال يتم ليس فقط داخل جدران الصف، وإنما بتنمية بيئة تربوية داعمة للغة العربية. هذا الأمر يتطلب توفير الشروط المساعدة لتعلم اللغة، إحداث تغيير بالمواقف تجاهها وربطها عضويًا بالهوية الجمعية.

الأنسب للتعليم العربي ولبناء فضاءات مشتركة مع الآخر، فاللغة العربية تلعب دوراً جوهرياً في هذه الصيرورة. فكون اللغة العربية لغة رسمية، ولغة الأقلية قومية وأصلانية،<sup>5</sup> تستحق مكانة خاصة وذلك للحفاظ على ثقافة الأقلية وهويتها الثقافية، وتعزيز الرواية التاريخية.

ما هو دور اللغة العربية حالياً في جهاز التعليم العربي وما المطلوب لإحداث التغيير؟ علينا أن نوضح منذ البداية، اللغة ليست وسيلة للاتصال فحسب، وإنما هي منظومة من الإشارات والدلالات أيضاً. حيث تعد اللغة من الأهم وكلاء التنشئة الاجتماعية للفرد والمجموعة، ومن أهم مكونات الهوية الفردية والجماعية. فهي ترسم الحدود الذهنية والثقافية والقومية بين الناطقين بها كلغة أم وبين "الآخر". وللغة موقع ومكان في الحيز العام: كلما كانت مكانتها عالية وبارزة فيه، كلما كانت قيمتها الرمزية وحيويتها من حيث التعامل معها واستعمالها أكبر (أمارة، 2006).

حالياً اللغة العربية هي لغة التدريس في المدارس العربية، هذه خطوة هامة لكنها منقوصة، لأنها لا تقوم بوظيفة أساسية أخرى منوطة بها كلغة أم: بناء الهوية الجمعية على أبعادها المختلفة لتعكس بصدق شخصية الطالب العربي. فكثير من المناهج والمضامين مفرغة من الأبعاد القومية والوطنية، والقسم الآخر لا يعبر عن هويته الجمعية وروايته التاريخية بصدق. فلنكن صريحين: اللغة العربية لغة جوهريّة في جهاز التعليم العربي وتحافظ على الهوية العربية الجمعية على أبعادها ومستوياتها المختلفة يجب إحداث التغييرات الآتية:

▪ كتابة المناهج التعليمية، الكتب التعليمية والوسائل المساعدة بالأصل ومباشرة في اللغة العربية وبدون ترجمة - كثير من المناهج والكتب التعليمية مترجمة من العبرية أو متأثرة بها جداً. هذه الترجمات لا يمكن أن تلبي حاجات الطالب العربي وخصوصياته المجتمعية والهوياتية المختلفة عن المتعلم اليهودي. كيف، على سبيل المثال، يمكن ترجمة كتب الجغرافيا إلى العربية؟ المسألة ليست لغوية ولكن الاختلاف الكبير في الروايات التاريخية حول الأرض، ولا يمكن تبني ما كُتِب بالعبرية في هذا المجال وغيره من المجالات المتشابهة. هذا يعني، أن هنالك خصوصية عربية لم تؤخذ إلى الآن بالحسبان. أولاً، هنالك حاجة إلى قسم مناهج عربي له خصوصيته واستقلالته. ثانياً، على هذا القسم أن يخطط وبشكل متناغم وشمولي ويربط بين المضامين والمواضيع المختلفة، واللغة العربية حاضرة في عملية التخطيط. هذا لم



## 6. خلاصة

للغة دور أساسي في حياة الأفراد والمجموعات، وتلعب اللغة في البيت والمدرسة دورا هاما في عملية التهيئة الاجتماعية. فاللغة العربية هي لغة تمكين لأبناء المجتمع العربي الفلسطيني في البلاد على المستوى الأدائي، وذلك للحراك الاجتماعي، وعلى المستوى الرمزي كمؤشر هام لهويتهم الجمعية.

لم تف اللغة العربية في جهاز التعليم العربي بالدور المنوط بها إلى اليوم كلغة أقلية قومية وأقلية أصلانية لها الحق في المحافظة على هويتها بأبعادها وبمستوياتها المختلفة. اللغة العربية هي لغة التدريس في المدارس العربية، ولكنها لا تؤدي جميع الأدوار لتلبية الحاجات المجتمعية والهوياتية للمتعلم، وفي أغلب المناهج والمضامين والكتب التدريسية هناك محاولات واضحة لإفراغها من مكوناتها القومية والوطنية.

ففي هذه الرؤية، اللغة العربية يجب أن تكون لغة التواصل في الجهاز العربي في كل أقسامه كلغة التخاطب وكلغة بناء المناهج والمضامين. يجب أن تعزز اللغة العربية في غرفة الصف والبيئة المدرسية عامة، وان تكون هنالك مناهج ومضامين كتب تعليمية ووسائل مساعدة معدة مباشرة وبدون ترجمة إلى اللغة العربية.

الواقع الحالي نتائجه محدودة تحصيليا، فيه الكثير من الإشكاليات القيمة، ولا يؤسس لبناء فضاءات مع الآخر. فالطرح في هذه الورقة يهدف إلى تغيير السياسات التربوية الحالية، وعلى رأسها القضية اللغوية والهوياتية، وذلك بهدف تشكيل من جديد الفضاء البداجوجي-التربوي لجهاز التعليم العربي. فقضية اللغة ترتبط ارتباطا عضويا بمسألة الهوية، وطرحي في هذه الورقة هو أن اللغة مهمة ليس فقط في التربية اللغوية، وإنما تتعداها للتقاطع مع جميع المناهج التعليمية، المضامين، الكتب التعليمية والوسائل المساعدة.

## مراجع

- أمارة، محمد (2006). العبرية وإسقاطاتها على المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل. طمرة: ابن خلدون.
- الجندي، أنور (1982). الفصحى لغة القرآن. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- الحصري، ساطع (1985). آراء وأحاديث في القومية العربية، جزء 7. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الغزالي، محمد (1998). حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي. القاهرة: نهضة مصر.
- موسى، سلامة (1947). اللغة العصرية واللغة العربية. سلامة موسى للنشر والتوزيع (الطبعة الأولى سنة 1945)
- النحوي، عدنان علي رضا (1998). لماذا اللغة العربية؟ رياض: دار النحوي للنشر والتوزيع.
- هشاحر، أيلت وهراتي، نيرا (2002). العمال الأجانب واللغة في إسرائيل. في كتاب اللغة والهوية في إسرائيل، تحرير محمد أمارة. رام الله: مدار- المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية. ص. 205-235.
- وزارة التربية (2008) التربية اللغوية العربية: لغة، أدب، ثقافة للمدارس الابتدائية- الصفوف أول-سادس- (منهج تجريبي).

أل-حناغ' מאג'ד (1996). **חינוך בקרב הערבים בישראל- שליטה ושינוי חברתי**. הוצאת מאגנס, האוניברסיטה העברית, ירושלים.

מרעי, סאמי (1974). "בית הספר וההברה בכפר הערבי". **עיונים בחינוך**, חוברת מס' 4, ע' 85-104.

פרס, יוחנן ודייוויס, נירה (1968). "על זהותו הלאומית של הערבי הישראלי", **המזרח החדש**, כרך "ח" 1-2, ע' 106-111.

Al-Haj, Majid and Leshem, Elazar (2000). **Immigrants from the Former Soviet Union in Israel: Ten Years Later**. A Research report. University of Haifa: The Center for Multiculturalism and Educational Research.

Amara, M. (2002). The place of Arabic in Israel. **International Journal of the Sociology** 158: 53-68.

Amara, M. H. (2003). The Collective Identity of the Arabs in Israel in the Era of Peace. **Israel Affairs** 1&2: 249-62.

Amara, M. 2006 The Vitality of the Arabic Language in Israel from a Sociolinguistic Perspective. **Adalah's Newsletter**, Volume 29, October 2006. Pp 1-10.

Amara, M. and Mari, A. (2002). **Language Education Policy: The Arab Minority in Israel**. Dordrecht, Netherlands: Kluwer Academic Publishing. MS. 200 pp.

Appel, R., and P. Muysken (1987). **Language Contact and Bilingualism**. London: Arnold.

Barth, Fredrik (ed.) 1970. **Ethnic Groups and Boundaries**. London: Allen and Unwin.

Baker, C. (1993). **Foundations of Bilingual Education and Bilingualism**. Clevedon, England: Multilingual Matters.

Bentahila, Abdelâli (1983). **Language Attitudes among Arabic-French Bilinguals in Morocco**. Clevedon, Avon: Multilingual Matters Limited.

Bosch, Barbara 2000. Ethnicity markers in Afrikaans. **International Journal of the Sociology of Language** 144: 51-68.

Bourdieu, Pierre, 1990. **The Logic of Practice**. Cambridge: Polity Press.

Bourdieu, Pierre (1991). **Language and Symbolic Power**. Cambridge: Harvard University Press.

De Kadt, Elizabeth (2000). "In with heart and soul": the German speakers of Wratburg. **International Journal of the Sociology of Language** 144: 69-94.

Deutsch, Karl (1966). **National and Social Communication.: An Inquiry into the Foundations of Nationality**, 2<sup>nd</sup> edn. Cambridge, MA: MIT Press.

- and in the Diaspora. In **Present and Future: Jewish Culture, Identity and Language**, edited by David Zisenwine and David Schers. School of Education- Tel-Aviv University. Pp. 79-100.
- Shohamy, E. and Donitsa-Schmidt, S. (1998). Differences in Attitudes, Stereotypes and Priorities regarding Hebrew and Arabic of Jews and Arabs in Israel. **Research Report**, Tel-Aviv University, School of Education.
- Skutnabb-Kangas, Tove (1999). Education of minorities. In **Handbook of Language and Ethnic Identity**, edited by Joshua A. Fishman. Oxford University Press. Pp. 42-59.
- Spolsky, Bernard and Shohamy, Elana (1999). **Languages of Israel: Policy, Ideology and Practice**. Clevedon: Multilingual Matters Ltd.
- Suleiman, Y. (2003). **The Arabic Language and National Identity**. Washington, D.C.: Georgetown University Press.
- Suleiman, Y. (2004). **A War of Words: Language and Conflict in the Middle East**. Cambridge: Cambridge University Press.
- Tajfel, H. (1978). **Differentiation between Social Groups**. London: Academic Press.
- Tajfel, H. & Turner, J. (1985). The social identity theory of intergroup behavior. Stephen Worchel and William G. Austin (Eds), **Psychology of Intergroup relations**. Chicago: Nelson-Hall. Pp. 7-24.
- Vermeulen, Hans and Govers., Cora (1994). Introduction: The anthropology of ethnicity. In **Beyond "Ethnic Groups and Boundaries"**, H. Vermeulen and C. Govers (eds.). Amsterdam: Het Spinhuis. Pp. 1-12.
- UNESCO, (2008). *Promotion and preservation of languages*. Retrieved 10 July, 2008.  
<http://www.un.org/events/iyl/multilingualism.shtml>.
- Yitzhaki, Dafna (2008). **Minority Languages and Language Policy: The Case of Arabic in Israel**. PhD Dissertation, Bar-Ilan University, Ramat-Gan.
- Edwards, John 1988. Bilingualism, education and identity. **Journal of Multilingual and Multicultural Development** 9
- Fen Olser, Hampson, Pamela R. Aall, Chester A. Crocker (2002). "**Conflict Unending: Intractable Conflicts and the Challenge of Mediation**" (Presented at the ISA, 2002).
- Feuerverger, Grace (1989). Jewish-Canadian and non-native language learning: A social-psychological study. **Journal of Multilingual and Multicultural Development** 10 (4)
- Fishman, J.A. (1977). Language and ethnicity in intergroup relations. In **Language, Ethnicity and Ingroup relations**, edited by H. Giles. London: Academic Press. Pp. 16-53.
- Giles, H., Bourhis, R.Y. and Taylor, D.M. (1977). Towards a theory of language in ethnic group relations. In H. Giles (ed.), **Language, Ethnicity and Ingroup relations**. London: Academic Press.
- Giles, H., Bourhis, R.Y. and Taylor, D.M. (1977). "Towards a Theory of Language in Ethnic Group Relations." In H. Giles, (ed.) **Language, Ethnicity and Inter-group Relations** (pp. 307-343). New York: Academic Press.
- Giles, H. and P. Johnson (1987). Ethnolinguistic identity theory: A social psychological approach to language maintenance. **International Journal of the Sociology of Language** 68: 256-269.
- Haarmann, Harald (1999). History. In **Handbook of Language and Ethnic Identity**, edited by Joshua A. Fishman. Oxford University Press. Pp. 60-76.
- Hourani, Albert (1983). **Arabic Thought in the Liberal Age, 1789-139**. Cambridge: Cambridge University Press
- Kymlicka, W. (1995). **Multicultural Citizenship**. New York: Oxford University Press.
- Lambert, Wallace, Lambros Mermigis, and Donald M. Taylor (1986). Greek Canadian's attitudes toward own group and other Canadian ethnic groups. **Canadian Journal of behavioral Science** 18: 35-51.
- Leibkind, Karmela (1999). Social psychology. In **Handbook of Language and Ethnic Identity**, edited by Joshua A. Fishman. Oxford University Press. Pp. 141-151.
- Lustick, Ian (1980). **Arabs in the Jewish State: Israel's Control over a National Minority**. Austin: University of Texas.
- Pinto, Meital (2007). On the intrinsic value of Arabic in Israel- Challenging Kymlicka on language rights. **Canadian Journal of Law and Jurisprudence** XX.(1): 1-30.
- Saban, I. and Amara, M. (2002) The Status of Arabic in Israel: Reflections on the Power of Law to Produce Social Change. **Israel Law Review** 36 (2): 5-39.
- Sarup M. (1996). **Identity, Culture and the Post-Modern world**. Athens, Georgia: the University of Georgia Press.
- Shohamy, Elana (1994). Issues of language planning in Israel: Language and ideology. In **Language Planning around the World**, edited by R. Lambert Richard. Washington, DC: National Foreign Language Center. Pp. 131-142.
- (1999). Language and identity of Jews in Israel